

إجتهد عبد الله بن مسلمة القعنبي (....-221هـ) بمذهب المالكية دراسة تاريخية

الخلاصة :

يتناول هذا الموضوع الجانب الفكري لاحدى الشخصيات العلمية الدينية الا وهو عبد الله بن مسلمة القعنبي (ت:221هـ) وهو احد رجالات المالكية ، بل وابرزهم على الرغم من اعتناقه للمذهب في فترة مبكرة من حياته ،وعلى الرغم من كونه في بادئ الامر لم يكن اكثر من شارب للخمر ،الا ان ما احدث انتقاله واضحة في حياته هو تقديم النصح الغير مباشر له من قبل شعبة بن الحجاج، مما ادى بالتالي الى تحويله الى علم من الاعلام الفكرية في القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الهجري ،ولم يتوقف الامر على ذلك فحسب ،بل و انه روى كتاب الموطأ للإمام مالك بالمناصفة ، وبلوغه هذه المرتبة وتدرجه علمياً حتى وصل الى ما وصل اليه يعتبر انجاز فكري رائع ، ترك القعنبي تاريخاً فكرياً زاخر بالروايات الفقهية والاحاديث نقلاً عن الامام مالك وغيره من الفقهاء والرواة انعكس كل ذلك على مكانته العلمية التي راح يشيد بها العديد من العلماء والمفكرين والمؤرخين على مر الازمان .

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كما يستحقه والصلاة والسلام على خير خلقه وعلى اله وصحبه المنتجبين من بريته وبعد.

ففي هذه الوريقات حاولت تسليط الاضواء على شخصية مهمة من شخصيات المذهب المالكي والذي ترك أثراً مهماً على الجانب الفقهي ، ومع الاسف الشديد اغفلته كتب التاريخ والفقهاء الا ما ندر ، لذا حاولت تجميع ما تبعثر عنه من هنا وهناك املاً في الحصول على مادة تاريخية من الممكن ان تضيف رصيد آخر الى مكتبتنا العلمية.

وعلى العموم طالبت طبيعة البحث تقسيمه الى مبحثين وخاتمة ، تطرقت في المبحث الاول الى :دراسة سيرته الذاتية وبدايات حياته ،وفي المبحث الثاني تناولت نشاطه الفكري معرجة على عصره والارهاصات الفكرية التي تزامنت مع ميلاده وطبيعة علاقته بالإمام مالك ، بالاضافة الى دراسة اهمية هذا المذهب عند المستشرقين ومحاولاتهم للنيل منه تعصباً لمذاهبهم اياً كانت ، ثم حاولت التركيز على الجانب الاهم في هذا البحث وهو دراسة النواحي الفكرية ،والدور الذي لعبه القعنبي في نقله للحاديث والوسطاء الذين نقل عنهم .وقد زدت عليه ايضاً اهم اساتذته وتلامذته ومكانته العلمية عند العلماء .

وقد اعتمدت على جملة من المصادر يقع في مقدمتها :كتب التراجم مثل تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (852هـ /) ، وفيات الاعيان لابن خلكان (681هـ /) ، سير اعلام النبلاء للذهبي (748هـ /) .

بالاضافة الى العديد من المصادر الاخرى الاولى والثانوية التي اترك للقاريء الكريم حرية الاطلاع عليها في نهاية البحث .

المبحث الاول: نشأة القعنبى

*نسبه

هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبى (1) الحارثى (2)، من اهل المدينة، سكن البصرة (3)، من رجال الحديث الثقات، اخذ العلم والحديث عن الامام مالك، وهو من جلة اصحابه وفضلائهم وثقاتهم وخيارهم (4).

*ولادته ووفاته

لم يقف المؤرخون على تحديد تاريخ معين لولادته، الا انهم يتفقون انها بشكل تقريبي بعد سنة 131هـ ببسبر (5)، و توفي في مكة (6) لست خلون من المحرم، وقيل يوم عاشوراء سنة احدى وعشرين ومائتين، وقيل سنة عشرين ومائتين (7) عن عمر يناهز التسعون عاماً، وهو بذلك ادرك سبع من خلفاء بني العباس .

*صفاته

اتصف القعنبى بفضائل الصفات، إذ عرف بتقشفه وخشونته، وفي ذلك نقل العسقلاني في تهذيبه قوله (8): "كان من المتقشفة الخشن وكان لا يحدث الا بالليل وربما خرج وعليه بارية انتشج بها، وكان من المتقين في الحديث وكان يحيى بن معين لا يقدم عليه في مالك احداً".

"وكان يسمى الراهب لعبادته وفضله" (9)، وقال عبد الله بن احمد بن الهيثم: سمعت جدي يقول: كما إذا اتينا عبد الله بن مسلمة القعنبى خرج الينا كأنه مشرف على جهنم، ونعوذ بالله منها (10).

ونقل لنا القاضي عياض عن الحسيني قوله: "كما عند مالك رحمه الله تعالى فجاءه رجل فأخبره بقدم القعنبى، فقال: متى يقرب قدمه؟ فقال قوموا بنا الى خير اهل الارض نسلم عليه، فقام فسلم عليه".

*توبته

لم يكن القعنبى في بدايات حياته أكثر من متسكع يجول هنا وهناك حتى احدث الله له امراً خطيراً شكل انعطافة مهمة في حياته ،فمما روي عن ولد القعنبى بالبصرة قال: "كان ابي يشرب النبيذ ،ويصحب الاحداث فدعاهم يوماً وقد قعد على الباب ينتظرهم فمر شعبة على حمارة والناس خلفه يهرعون فقال من هذا قيل شعبة قال وأيش شعبة قالوا محدث فقام إليه وعليه إزار أحمر فقال له حدثني فقال له ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك فأشهر سكينه وقال تحدثني أو أجرك فقال له :حدثنا منصور عن ربي عن أبي مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا لم تستحي فاصنع ما شئت فرمى سكينه ورجع إلى منزله فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهراقه وقال لأمه الساعة أصحابي يجيئون فأدخلهم وقدمي الطعام إليهم فإذا أكلوا فخبريهم بما صنعت بالشراب حتى ينصرفوا ومضى من وقته إلى المدينة، فلزم مالك بن أنس فأثر عنه ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة فما سمع منه غير هذا الحديث " .

المبحث الثاني: الدور الفكري لعبد الله بن مسلمة القعنبى

أ- عصره

تزامنت ولادة القعنبى مع ميلاد دولة جديدة الا وهي الدولة العباسية (132-656هـ) تلك الدولة التي اتسعت ارجائها شرقاً وغرباً مدة خمسة قرون ، ولعل ابرز ما يميز ذلك العصر هو الارهاصات الفكرية التي عاش في ضلالها العديد من العلماء والمفكرين والفقهاء ورواة الحديث وغيرهم ، ولعل مما شجع على هذا الانفتاح هو اقبال الخلفاء العباسيون الاوائل على هذه الخطوة وتشجيعهم عليها ،ليس ذلك فحسب ،وانما إقدامهم على تربية ابنائهم على يد جملة من المؤدبين والعلماء المشهورين في عصرهم ،فلا غرو إذا احتقى الخلفاء باهل العلم والادب وحاسنوهم ،ولذلك كانوا في الغالب علماء بالأمر الشرعية و الفقهية ، فكانوا يقربون الفقهاء والمحدثين ،وتطرقوا من ذلك الى الرغبة في النحو واللغة والتاريخ لارتباط تلك العلوم بعضها ببعض ،وكان

ذلك من اعظم الاسباب في ازدهار الحركة الادبية والعلمية عصرئذ بتشجيع من الخلفاء وتحفيزهم ،فلقد تسابق الناس في هذا العصر الى التثقف بالثقافة الفقهية ،ومما يروى في هذا المضمار رواية تبين حب المنصور للجانب العلمي ،فقد سأل يوماً: "يا امير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تتله ؟قال شيء واحد ،قالوا :وما هو ؟ قال: قول المحدث للشيخ : من ذكرت رحمك الله .فأجتمع وزرائه وكتابه وجلسوا حوله وقالوا: ليمل علينا امير المؤمنين شيئاً من الحديث ،فقال: لستم بهم ،انما هم الدنسة ثيابهم ،المشقة ارجلهم ،الطويلة شعورهم ،رواد الافاق ،وقطاع المسافات ،تارة بالعراق ، وتارة بالحجاز ، وتارة باليمن ،فهولاء نقلة الحديث" .

ولعلنا نحتاج وقفة تأمل واعتبار امام هذا الموقف الصادر من المنصور ،فعلى الرغم من تسلمه لاعظم منصب في الدولة ،الا انه يقف وقفة احترام واجلال امام الرواة والمحدثين .

من ذلك يتضح لنا مدى التقدير والاحترام الذي حظي به العلماء والفقهاء ورواة الحديث في العصر العباسي .

وعلى اثر ذلك انتشرت الكثير من المذاهب ، ومنها المذهب المالكي في المدينة على يد امامهم مالك بن انس (93-179هـ) ،وعلى الرغم من المحاربة التي جوبه بها هذا الفقيه من قبل والي المدينة ،الا ان المنصور سرعان قدم إليه اعتذاراً وارسله الى حيث اتى وعنف والي المدينة على فعلته تلك .

على العموم اتاحت تلك الاجواء الى انتشار هذا المذهب في جميع انحاء الخلافة العباسية ،ومن المحتمل ان مما ساعد على ذلك هو اعتدال المذهب المالكي بين المذاهب الاخرى ،فلا هو شديد كل الشدة ولا هو متهاون بفرائضه ،ولذا اقبل عليه العديد من العلماء والرجالات ومنهم القعنبي .

*ابرز المذاهب الفكرية التي ظهرت في هذا العصر

اثر الانفتاح الفكري على ولادة العديد من المذاهب الفقهية التي تجاوزت زمنياً ما يزيد عن ثلاثة مئة عام ،امتازت هذه المرحلة على اقبال الطلية من جميع بقاع العالم على بغداد نتهل من علومها ،لذا ظهرت المذاهب الفقهية المعروفة ،وعلى اثر ذلك ظهر التنافس العلمي بينها

،وحاولت كل فئة التجديد في مذهبها بناءً على الاساليب العلمية الجديدة التي طرحت ي كل مذهب ، ولابد لنا من تعريجة بسيطة عن كل مذهب حسب التسلسل الزمني :

-المذهب الجعفري :بزعامة الامام جعفر الصادق (ع) والذي اعتمد في طرحه على الكتاب والسنة الشريفة ،بالاضافة الى فتح باب الاجتهاد لملائمة متطلبات الحياة العصرية التي جهل الناس حكمها الشرعي .

وبعتبر هذا المذهب هو المدرسة الام التي تفرعت منها باقي المذاهب الاخرى ، إذ اغلب الزعماء الذين سنتطرق لهم من طلبة الامام الصادق بشكل مباشر اة غير مباشر .

- المذهب الحنفي بزعامةالإمام أبي حنيفة النعمان (80 - 150 هـ) -،وقد ظهر في الكوفة بغداد.نعرض في باديء الامر الى معارضة الخلفاء العباسيين الا انه بمرور صار المذهب الرسمي عمد اغلب العباسيين .

استند مذهبه الى القول بالأصول النقلية القائمة على القياس والاستحسان والاعراف الاجتماعية وقول الصحابة .

- المذهب المالكي: والذي يعود الى مؤسسه الإمام مالك (39 - 179 هـ) ، وهو من فقهاء المدينة ،اعتمد في اصدار احكامه بالاضافة الى ما سبق ذكره من احكام على عمل اهل المدينة ،واعتبر عملهم حجة يؤخذ بها، وذلك كون المدينة هي المكان الذي آوى الرسول والذي اصبح العاصمة الاسلامية الفعلية في عهده ،فكان سكان المدينة من وجهة نظره التطبيق الفعلي لاقوال الرسول وافعاله ،واعتبر اعمالهم حجة يجب الاخذ بها ،وقد تعرض اثر ذلك الى انتقادات المستشرقين ،سوف نتطرق اليها فيما بعد .

- المذهب الشافعي بزعامة الشافعي (150 - 204 هـ)، الذي قدم إلى العراق للدراسة ،،فأسس مذهب اصبح بمرور الوقت مذهباً جمع فيه بين احكام من سبقه من الفقهاء الحنفية والمالكية ، وبعتبر من الفقهاء المجددين ، وقد اعتمد على الاصول والاحكام التي وضعها في مصنفه المعروف بالرسالة .

- المذهب الحنبلي للشيخ أحمد بن حنبل (164 - 241 هجرية)، وقد اقتضت أرائه على الاعتماد على الكتاب والسنة فقط، وقد اعتنق أرائه العديد من رجال الدولة، مما ساعد على انتشارها في العديد من بقاع العالم.

* علاقته بالإمام مالك:

على الرغم من أن كتاب الموطأ روي بالمناصفة من قبل مالك والقعنبى، إلا أنه لم نعثر على مصادر تؤكد على لقائهم مع بعض إلا القليل جداً، وربما مرد ذلك إلى الفارق العمري الكبير فيما بينهم إذ أن مالك ولد سنة (93 هـ)، بينما ولد القعنبى بعد سنة (130 هـ) أي أن الفارق بينهما يربو على الأربعين عاماً عند ولادة القعنبى، ثم أن القعنبى لم يكن في بادئ الأمر سوى إنسان متسكع لا يطلب من هذه الحياة سوى الخمر واللامبالاة، ولا توجد مصادر تبين لنا السنة التي اهتدى فيها القعنبى وتاب، لذلك إذا افترضنا أنه تاب في العشرين من العمر أي ما بعد سنة (150 هـ) يكون عمر المالكي 67 عاماً، لذا يكون من المتوقع عدم اللقاء بينهما، وإذا روى كتاب الموطأ فيكون بالوساطة وليس بشكل مباشر، إذ أغلب الروايات تؤكد أن القعنبى روى رواياته عن طريق شرحبيل، وهو نفسه كان الوساطة التي نقل عنها القعنبى رواياته، إذ كان شرحبيل معاصراً للمالكي، في نفس الوقت يستبعد أن يكون المالكي قد روى الأحاديث بشكل مباشر على القعنبى إلا ماندر، وعلى ما يعتقد الباحث أن القعنبى أكمل كتاب الموطأ بعد وفاة مالك وهو أقرب للواقع.

بينما هناك مصادر تبين حدوث اللقاء بينهما، ومن هذه الروايات ما يأتي:

- وذكر (الذهبي) في (سير أعلام النبلاء) (35/9): قال (ابن خزيمة): سمعت نصر بن مرزوق يقول: سمعت (يحيى بن معين) يقول: وسألته عن رواية (الموطأ) فقال: أثبت الناس في (الموطأ) (عبد الله بن مسلمة القعنبى)، و(عبد الله بن يوسف التتيسي) بعده.

- وقال (العجلي): قرأ (مالك بن أنس) على (القعنبى) نصف (الموطأ)، وقرأ هو النصف الباقي.

- وقال (أبو الحسن الميموني): سمعت (القعنبي) يقول: اختلفت إلى (مالك) ثلاثين سنة، ما من حديث في (الموطأ) إلا لو شئت قلت سمعته مرارا، و لكن اقتصرت بقراءتي عليه، لأن (مالكا) كان يذهب إلى قراءة الرجل على العالم أثبت من قراءة العالم عليه.

- قال الحافظ (ابن حجر): وهكذا أطلق (ابن المديني) و (النسائي): أن (القعنبي)، أثبت الناس في (الموطأ)، وذلك محمول على أهل عصره، فإنه عاش بعد (الشافعي) بضع عشرة سنة، قال: ويحتمل أن يكون تقديمه عند من قدمه باعتبار أنه سمع كثيرا من (الموطأ) من لفظ (مالك)، و بناء على أن السماع من لفظ الشيخ أنقن من القراءة عليه.

- وحكي عن الحافظ أبي عبدالله الحميدي أنه قال: حكي القعنبي قال: دخلتُ على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه. ثم جلستُ فرأيتَه يبكي. فقلتُ: يا أبا عبدالله؛ ما الذي يُبكيك؟! فقال لي: يا بن قعنْب، وما لي لا أبي؟ ومن أحقَّ بالبكاء منِّي؟ والله لوددت أنِّي ضربتُ لكلِّ مسألة أفْتيتُ فيها برأيي مائة ألف سوط، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه! وليتني لم أفْت بال رأي.

- قال فيه مالك وقد أخبر بقدومه: «قوموا بنا إلى خير أهل الأرض نسلم عليه فقام فسلم عليه»، وقال فيه أيضا: «هو خير أهل الأرض». قال ابن معين: أثبت الناس في مالك: هو ومعن، وقال مرة: أثبتهم القعنبي.

- كان عبد الله بن قعنْب أحد الأعلام في العلم والعمل، من جلة أصحاب مالك وفضلائهم وثقاتهم وخيارهم، وأحد رواة «الموطأ» عنه، وقد لازم مالكا مدة طويلة.

- قال الحافظ صلاح الدين العلائي: روى الموطأ عن مالك جماعات كثيرة، ومن بين رواياتهم اختلاف من تقديم وتأخير وزيادة ونقص، وأكبرها رواية القعنبي "الفضل المبين

- ذكر التستري انه: "روى عن مالك اصوله وفقهه وموطأه".

- قال القمي انه: "أخذ العلم والحديث عن الامام مالك وهو من جملة اصحابه، واحد رواة الموطأ عنه". الكنى واللقاب

-روى القاضي عياض هن ابن ابي اويس :كان مالك إذا جلس قال ليليني منكم ذو الصلاح والنهى ،فرما جلس القعبي عن مجلسه ".ترتيب المدارك

*موقف المستشرقين من المذهب المالكي

انتشر المذهب المالكي في القرن الثاني للهجرة وهو حاله حال العديد من المذاهب الفقهية التي ظهرت اثر التوسع والانفتاح الحضاري على باقي البلدان والحضارات الاخرى وهو مذهب معتدل اعتنقه الكثير من الاشخاص ومن ضمنهم القعبي ، وقد كان للاستشراق وقفة من هذا المذهب ، إذ ركز رجالات المستشرقين بشكل اساسي على فقه المذهب متهمينه إياه بالتقليد للقوانين البيزنطية ، وان القوانين الاسلامية لم تستحدث شيء ، وإن ما استحدث من قوانين فقهية انما هي قوانين بالية غير صالحة للتطبيق في كل الاوقات، وقد بالغ البعض كثيراً في ذلك امثال : جولدزيهر ، و شاخت و ميليو ، و كولسون، وبرونشفيج.

الا ان هذه الاتهامات لو وضعت تحت المجهر نلاحظ ان ايدي يهودية او نصرانية تقف من ورائه تعصباً لمذاهبهم اياً كانت ومحاولة التقليل من اهمية المذاهب الاسلامية الاخرى ومن ضمنها المذهب المالكي ،فمن جملة الانتقادات التي وجهت إليه من قبل المستشرقين هو انه اعتمد على عمل اهل المدينة واعتبره حجة ومصدر للتشريع و لم يستحدث مذاهباً جديداً للأهل المدينة ، وإنما سار على بقايا تقاليد قديمة استحدثها واختصها لنفسه ،الا انه في الحقيقة ،فإن الامر خلاف ذلك ، إذ لايمكن إنكار ان مالك وجد قوانين اسلامية سنّها الرسول وسار عليها من تبعه من بعده من الصحابة والتابعين الا انه قننها ضمن اطار معين و اضاف عليها قوانين اخرى ،لذا يعتبر كتابه المؤطأ من الكتب ذات التأثير الواضح على شرائع عديدة من فئات المجتمع ،وان الاتهامات التي وجهت إليه لا تصمد امام الاسس الرصينة التي استند إليها هذا المذهب ،مما يضعف جميع الحجج والاباطيل التي اختلقها المستشرقين من قبل.

1 . وردت المادتان في المجلد السادس من أصل فرنسي، والموسوعة Encyclopédie de

اصIslam التي سوف نرمز لها بـ(EI) لم تترجم طبعها الثانية بعد إلى اللغة العربية.

2 . يعتبر القاضي عياض في مقدمة كتابه ترتيب المدارك في أعيان مذهب مالك <الجزء الأول> أبرز من استعرض هذه الأدلة باستفاضة واسعة.

3 . - 2 R.Brunschwig. Polémiques médiévales autour du rite de malik 82.

ب-تراثه الفكري

على الرغم من انه لم تصل إلينا رواية تذكر فيه ان للقنبي كتب مؤلفة ،الا انه ترك لنا تراث فكري غني بالروايات الفقهية العديدة ، ثم انه لم يختصر على ايراد الروايات فحسب كما فعل من سبقوه ، وانما انفرد بذكر احاديث معينة ومخالفته لسند الحديث ايضاً، مما يدل على مدى الدقة والموضوعية والعلمية التي امتاز بها هذا الفقيه.

ينتصف كتاب الموطأ رواية الى قسمين قسن تولاه مالك بن انس والآخر تولاه القنبي ،وقد ابدع الاخير في ذلك الى الدرجة التي يفضلها بعضهم على المالكي نفسه.

وفي هذا الجانب نحاول قدر الامكان الوقوف على دوره الفكري وما تطرق اليه وقدمه من روايات وتسلط الضوء عليها :

فهناك جملة من الروايات انفرد بها القنبي عن غيره من الروايات منها حديث :((الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء)) ،وحديث:((ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة))).

وواضح جداً ان الحديثين لا يصمدان امام النقد الفقهي العلمي ،سيما إذا عرفنا المدة التي كان بها وهي العصر العباسي الاول، والارهاصات الفكرية التي حدثت ، واللقاح الفكري بين الامم العربية والامم الاخرى، ودخول كثير من الدخلاء وبعض من يحاول ان يشتري بما عنده من احاديث اموال قليلة ،وانفتاح الامة العربية على غيرها من الامم، ودخول عنصر التزييف ،واخراج الاحاديث بصورة منافية لما هي عليه، كل ذلك ادى بالتالي الى استحداث جملة من الاحاديث الموضوعية والتي لم ينزل الله بها من سلطان.

وهناك روايات أخرى اشترك لها مع غيره من الرواة منها :حديث : ((لا يبيع بعضكم على بيع بعض ولا تتلقوا السلع حتى بهبط به الاسواق)) ، وقد اتفق معه في نقل الحديث معن وابن يوسف وابن عفير وابن برد .

-حديث : "لا نذر في معصية ،ولا قطيعة رحم ،ولا حاجة للكعبة في شيء من زكاة اموالكم ."وقد اتفق معه بكير بن عبد الله ،وسليمان بن يسار .ميزان الاعتال

لم يتوقف الامر على ذلك ،بل هناك بعض الروايات التي خالف بها غيره من الروائيين في سند الحديث منها: قوله (صلى الله عليه واله وسلم): ((ان بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم)). وقد روى القعنبي هذا عن مالك عن سالم عن ابيه ،بينما رواه البعض عن سالم مرسلًا.

حديث :((الطاعون رجلاً ارسل على طائفة من بني اسرائيل)). رواه القعنبي عن مالك بن المنكر ، بينما رواه غيره عن مالك بن المنكر وابن ابي النضر .

حديث :((كان الرسول يأتي قباء ماشياً وراكباً)).وقد رواه عن مالك عن نافع عن ابن عمر ،بينما رواه البعض عن مالك بن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر .

ولم يقتصر القعنبي على كتاب الموطأ ،بل تعداه الى ايراده للروايات في كتب اخرى غير الموطأ منها:

حديث:((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاليكرم جاره)).

حديث:((ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها)).

حديث:((الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)).

حديث:((التأوب من الشيطان)).

حديث:((الغنية ان تذكروا من المرء ما يكره ان يسمع)).

وعلى الرغم من انه انفرد بنقله للاحاديث النادرة ،الا انه مع ذلك فهناك العديد من الاحاديث التي وجدت عند غيره دونه منها:

حديث: ((لكل نبي دعوة)).

حديث: ((امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم)) .

حديث: ((لا يخطب احدكم على خطبة اخيه)) .

حديث: ((العجماء جبار والبئر جبار)).

حديث: ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءاً)).

حديث: ((نحن الاخرون الاولون السابقون يوم القيامة)) .

حديث: ((الحمى من فيح جهنم)).

حديث: ((العرير التي فيها جرس لاتسحبها الملائكة)) .

حديث: ((ان اولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً)).

حديث: ((لسبيعة الاسلامية بعد ما نفست بعد وفاة زوجها ان قد حللتني فانكحي)).

وهناك دليل اخر لنا حديث فى سنن ابى داود صحيح وصححه حتى الألبانى المجسم فى صحيح

ابى داود(107/3)) حدثنا القعنبي عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت

عبد الرحمن أنها أخبرته أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت:

لو أدرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أحدث النساء؛ لمنعهن المسجد كما مُنِعَه

نساء بني إسرائيل. قال يحيى: فقلت لعمرة: أُنِيعه نساء بني إسرائيل؟ قالت: نعم.))

قلت اى الألبانى: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

قلت وهذا دليل على انها رضى الله تعالى عنها لم تكن تصلى فى المسجد قطعاً.

وهنا لا بد من عرض احد اوجه التناقض القائمة على اختلاف قضيتين إيجاباً او سلباً ،بحيث

يقتضي لذاته صدق أحدهما وكذب الاخرى

***موارده:**

***روايته عن شعبة بن الحجاج**

لم يروي القعنبى عن شعبة سوى رواية واحدة فقط وهي (إذا لن تستحي فاصنع ما شئت) التي سبق الإشارة إليها في قصة توبته، مع معاصرته له، فما الأسباب الدافعة لذلك ؟ وللدرد على ذلك لابد لنا من استعراض آراء الفقهاء والمؤرخين في باديء الأمر .

ذكر البخاري أنه: ما روى القعنبى عن شعبة غير هذا الحديث، وذلك أنه قال له شعبة: "اتركني في بلد وترتحل إلى مالك؟ فالح عليه القعنبى، واخذ بلجام دابته فحدثه بها الحديث، وحلف شعبة أن لا يحدثه والله أعلم".

بينما ذكر الحافظ أبو عمر أحمد بن محمد الحيرى: سمعت أبي يقول: قلت للقعنبى مالك لا تروى عن شعبة غير هذا الحديث؟ قال: كان يستقلني، فلا يحدثني. (سير أعلام 261/10)

وقيل: إن القعنبى جاء إلى البصرة لسمع الحديث عن شعبة، فلم يجده فقصده داره ودخل من غير استئذان وقال: أنا غريب، قصدت من بلد بعيد لتحدثني، فاستنقل شعبة ذلك، وقال: خلت بيتي من غير إذني، وتكلمني على هذه الحالة، اكتب الحديث الأنف الذكر، ثم قال: والله لا أحدثك غيره ولا أحدث قوماً أنت معهم. (المنتخب للسمعاني 1801-1803)

إلا أن الذهبي أنكر هذه الرواية وقال: وقد رويت حكاية غريبة في سماع القعنبى لذاك الحديث لا تصح وأنه هجم عليه بيته، فوجده يبول في بالوعة، فقال: حدثني فلامه وعنفه، وقال تهجم علي داري، ثم تقول حدثني وأنا على هذه الحالة، قال: إني أخشى الفوت، فروى له حديث في قلة

الحياء ،وحلف ان لا يحدثه بسواه . وفي الجملة لم يدرك القعنبي شعبة الا في اواخر ايامه ، فلم
يكثر عنه ، وقد حدثه افلح عن القاسم بن محمد ، وافلح اكبر من شعبة قليلاً . (سير اعلام 261/10)

ومن خلال ذلك نلاحظ ان بمقدور الانسان استحداث صفحة جديدة في حياته يسيطر عليها
تاريخه الحديث متغاضياً عما احدثه في الماضي من امور لو صفت سرائره وحسنت نيته .

*اساتذته

تتلمذ القعنبي على يد جملة من فضلاء الاساتذة ولعل من ابرزهم:

1. افلح بن حميد:
2. ابن ابي ذئب:
3. اسامة بن زيد:
4. داوود بن قيس الفراء:
5. سلمة بن وردان:
6. يزيد بن ابراهيم التستري:
7. نافع بن همر الجحفي:
8. الليث بن سعد:
9. ابراهيم بن سعد:
10. اسحق بن ابي بكر المدني :
11. الحكم بن الصلت:
12. حماد بن سلمة:
13. سليمان بن بلال:
14. عيسى بن حفص:
15. سليمان بن المغيرة :
16. هشام بن سعد:

***تلامذته:**

تتلمذ على يديه العديد من الفقهاء اللذين اصبحوا فيما بعد مراجع للامة العربية ولعل في

مقدمتهم:

1. البخاري :
2. مسلم:
3. ابو داود:
4. محمد بن سنجر الحافظ:
5. محمد بن يحيى الذهلي:
6. محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم:
7. ابو حاتم الرازي:
8. عبد بن حميد :
9. عمرو بن منصور:
10. النسائي:
11. ابو زرعة الرازي:
12. محمد بن غالب تميم:
13. اسماعيل القاضي:
14. محمد بن ايوب الضريس:
15. عثمان بن سعيد الدارمي:
16. محمد بن معاذ دران:
17. اسحاق بن الحسن الحربي:
18. معاذ بن المثنى:

***تصديه للجهمية**

قال ابن تيمية في التسعينة (158/1-159): (إنّ سلف الأمة وأئمتها ما زالوا يتكلمون ويفتون ويحدثون العامة والخاصة بما في الكتاب والسنة من الصفات، وهذا في كتب التفسير، والحديث،

والسنن، أكثر من أن يحصيه إلا الله، حتى إنه لما جمع الناس العلم وبوبوه في الكتب، فصنف ابن جريج التفسير والسنن، وصنف معمر أيضاً، وصنف مالك بن أنس، وصنف حماد بن سلمة، وهؤلاء أقدم من صنف في العلم، فصنف حماد بن سلمة كتابه في الصفات، كما صنف كتبه في سائر أبواب العلم، وقد قيل: إن مالكا إنما صنف الموطأ تبعاً له، وقال: جمعت هذا خوفاً من الجهمية أن يضلوا الناس لما ابتدعت الجهمية النفي والتعطيل..).

قال بنان بن أحمد كنا عند القعنبى رحمه الله فسمع رجلاً من الجهمية يقول : (الرحمن على العرش استوى) ،فقال القعنبى : "من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي" .

وبالرغم من المعارضة الكبيرة من قبل المالكية للجهمية ،الا ان الباحث لم يعثر سوى على هذه المقولة من قبل القعنبى بشأنهم ،وربما يرجع ذلك الى اسباب منها :

- ان من المعروف ان الحديث مطولاً حول امر معين يزيده رفعه ،لذا من المحتمل ان القعنبى اختصر وجهة نظره بالجهمية بشكل اجمالي بهذه الفقرة البليغة .

- ومن المحتمل ان القعنبى على اعتباره رجل فقيه ترك الخوض في غمار الفرق للمختصين بذلك من المفكرين والعلماء .

***مكانته عند العلماء:**

حاز القعنبى على مكانة متميزة الى الدرجة التي فاق بها اقرانه بما انتجه من تراث فكري ضخم ،لذا انعكس ذلك بشكل واضح على معاصريه العلماء والمؤرخين ومن جاء من بعدهم والذين اشادوا به كثيراً وورد في ذلك العديد من الاقوال ، ولعل ابرزها هي: قال عنه ابن حجر انه: " سئل ابن المديني عنه ،فقال :لا اقدم من رواية الموطأ احداً على القعنبى "،واضاف الذهبي :انه "الامام الثبت القدوة شيخ الاسلام "وزاد الدمشقي على ذلك قوله: "احد الاعلام في العلم والعمل ،وانه ثقة حجة" .

وذكر عنه ابن عياض انه : "جمع العلم والورع احد فقهاء المدينة ،من اصحاب مالك ،وكان من افقهم "،واما ابن فرحون فقد ذكر عن ابن اسحق قوله: " ما رأيت احداً يريد

بعلمه الا الله الا القعنبى "،وبلغ من مكانته ان قورن بالجواهر والعملات النقدية ،فقد اشاد به ابن معين حين قال: "ذاك من در ،ذاك من دنانير " .

واضاف صاحب الاعلام انه: "من رجال الحديث الثقات" ، و اكذ ابن الاثير وثاقته بقوله: "وكان ثقة" ، وكذلك التستري حين قال: "وكان ثقة صالحاً" ،ونقل ابن خلفون لنا :انه سئل ابو زرهة عن عبد الله بن مسلمة القعنبى ،فقال :ما كتبت عن احد اجل في عيني منه".

ونقل عن ابن حاتم الرازي قلت لابي القعنبى احب اليك في الموطأ او اسماعيل بن ابي اويس ؟قال :القعنبى احب إليّ ،لم ارَ اخشع منه سأله ان يقرأ علينا الموطأ فقال :تعالوا بالغداة فقلنا :لنا مجلس عند الحجاج ، فقال :فإذا فرغتم من الحجاج ،قلنا :نأتي مسلم بن ابراهيم ،قال : فإذا فرغتم قلنا :يكون وقت الظهر نأتي ابا حذيفة ،قال فبعد العصر ،قلنا :قلنا نأتي عارم ،قال فبعد المغرب ،فكنا نأتيه بالليل فيخرج علينا وهو على جسده ،ولو اراد لأعطى الكثير " . أبن خلفون

الخاتمة

في البحث كانت هنالك جملة نتائج خرج بها البحث منها:

1. يعتبر القعنبى من الشخصيات الرائدة في المجال الفقهي بما خلفه لنا من تراث ثر في الجانب الروائي كان لها تأثيرها الكبير على المستوى العلمي .
2. امتاز بالتزامه الديني المفرط الى الحد الذي يقال عنه ما رؤي القعنبى الا ذاكرًا لله .
3. تعتبر توبته مرحلة انتقالية من حال الى اخر ،فعلى الرغم من انحداره الاخلاقي وشربه للخمر وعدم اكرائه الواضح لأي شيء في بادئ الامر ،الا ان الحال تغير بمجرد سماعه لحديث في الحياء ،وهذا يؤكد ان الانسان من الممكن تحويله من حال الى اخر إذا كان عنده الرغبة للتغير الايجابي او السلبي حسب الظروف والرفقاء المحيطين به .
4. على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها القعنبى في نقله للحديث ،الا انه لم يستخدم الاسلوب الاستقصائي والتأكد من مدى مصداقية الحديث او عدمها ،وهذا واضح من الاحاديث الغريبة التي انفرد بنقلها.

قائمة الهوامش والتعليقات:

1. ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي (ت:852هـ) ، تهذيب التهذيب ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية (الهند)،1326هـ/
2. القمي،عباس (ت: هـ)،الكنى والالقب ،النحف :المطبعة الحيدرية ،1970م،
3. ابن خلكان ،شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت:681هـ)،وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،تحقيق :إحسان عباس ،ط.بيروت :دار الثقافة ،1970م،
4. ابن خلفون ،ابو بكر محمد بن اسماعيل ،(ت:636هـ)،المعلم بشيوخ البخاري ومسلم، تحقيق: ابو عبد الرحمن عادل بن سعد ،ط1 ،بيروت :دار الكتب العلمية ،1421هـ/2000م،
5. ابن قدامة المقدسي ،موفق الدين ابي محمد عبد الله بن احمد بن محمد (ت:620هـ)،كتاب التوابين ،تحقيق وتعليق : عبد القادر الارناؤط ،ط2 ، ط. مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان ،1389هـ/ 1969 م ،
6. مجموعة مؤلفين ،التراجم والسير ،ط.دار المعارف ،1955م ،
7. ابن اسحق ،محمد ،تراجم رجال ،ط. لندن 1980 ،
8. الذهبي ،شمس الدين محمد بن احمد (ت:748هـ)،سير اعلام النبلاء ،تحقيق :محمد نعيم العرقسوسي ،ط :بيروت : مؤسسة دار الرسالة 1406هـ/1986م،
9. الدمشقي، محمد جمال الدين القاسمي (ت: هـ)،الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين وهو شرح الاربعين العجلونية ،تقديم وتحقيق: عاصم بهجة البيطار ،ط4،بيروت :دار النفائس،1416هـ/1995م،
10. عياض ،ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ،(ت:544هـ)،جمهرة تراجم فقهاء المالكية ،ترتيب د .قاسم سعد ،ط .دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث ،ط1، 1423هـ/2002م ،3/1201.

11. عياض ،ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ،(ت:544هـ)،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ،تحقيق: احمد بكير محمود ،ط.بيروت دار مكتبة الحياة ،1387هـ/1967م،
 12. الذهبي ،شمس الدين محمد بن احمد (ت:748هـ)،ميزان الاعتدال في نقد الرجال ،تحقيق :محمد البجاوي ،ط. دار احياء الكتب العربية ،1382هـ/1963،
 13. التستري ،محمد تقي الدين قاموس الرجال ،ط:قم :مؤسسة النشر الاسلامي ،1415هـ/،
 14. ابن ماكولا، علي بن هبة الله أبي نصر(ت:475هـ /) ،الاكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب،ط1،بيروت :دار الكتب العلمية ،1411هـ/1990م،
 15. ابن خلدون ،عبد الرحمن (ت:808هـ /) ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،ط1،بيروت:دار الكتب العلمية ،1413هـ/1992م،
 16. ابن الاثير الجزري ،عز الدين (ت:630هـ)،اللباب في تهذيب الانساب ،ط. بيروت :دار صادر،1400هـ/1980م،
 17. الزركلي، خير الدين (ت:)،الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر ،(د.ط)،(د.ت)،
 18. المالكي ،ابن فرحون(ت:799هـ)،الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ،تحقيق وتعليق: محمد الاحمدي ابو النور ،ط2،القاهرة :مكتبة دار التراث،1426هـ/2005م ،
 19. الادريسي، فائزة عباس حميدي ،الوجوه الدلالية عند علماء القراءات الى نهاية القرن السادس الهجري ،".بغداد :ديوان الوقف السني ،1433هـ/2012م،
 - 20.
1. ترتيب المدارك وتقريب المسالك (3 / 198 - 199 - 201)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (ص: 214)، تهذيب الكمال (16 / 140)، وفيات الأعيان (40/3)، شجرة النور الزكية (ص:57)[

* قائمة المصادر الأولية:

- * ابن الاثير الجزري ، عز الدين (ت:630هـ)
 - اللباب في تهذيب الانساب ، ط. بيروت :دار صادر، 1400هـ/1980م.
- * ابن اسحق ، محمد ،
 - تراجم رجال ، ط. ليدن 1980.
- * التستري ، محمد تقي الدين
 - قاموس الرجال ، ط:قم :مؤسسة النشر الاسلامي ، 1415هـ/
- * ابن حجر العسقلاني
 - شهاب الدين احمد بن علي (ت:852هـ) ، تهذيب التهذيب ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية (الهند)، 1326هـ/
- * ابن خلفون ، ابو بكر محمد بن اسماعيل ، (ت:636هـ)
 - المعلم بشيوخ البخاري ومسلم، تحقيق: ابو عبد الرحمن عادل بن سعد ، ط1 ، بيروت :دار الكتب العلمية ، 1421هـ/2000م،
- * ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت:681هـ)
 - وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق :إحسان عباس ، ط.بيروت :دار الثقافة ، 1970م،
- * ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت:808هـ /)
 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ط1، بيروت:دار الكتب العلمية ، 1413هـ/1992م.
- * دمشقي، محمد جمال الدين القاسمي (ت: هـ)

- الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين وهو شرح الاربعين العجلونية، تقديم وتحقيق: عاصم بهجة البيطار ، ط4، بيروت دار النفائس، 1416هـ/1995م.

*الذهبي ،شمس الدين محمد بن احمد (ت:748هـ)

- سير اعلام النبلاء ،تحقيق :محمد نعيم العرقسوسي ،ط:"بيروت: مؤسسة دار الرسالة 1406هـ/1986م.

* _____ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ،تحقيق :محمد البجاوي ،ط. دار احياء الكتب العربية ،1382هـ/1963.

* ابن قدامة المقدسي ،موفق الدين ابي محمد عبد الله بن احمد بن محمد (ت:620هـ)

- كتاب التوابين ،تحقيق وتعليق : عبد القادر الارناؤط ،ط2 ، ط. مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان ،1389هـ/ 1969 م.

* القمي ،عباس (ت: هـ)

- الكنى والالقب ،النجف :المطبعة الحيدرية ،1970م،

* عياض ،ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ،(ت:544هـ)

- جمهرة تراجم فقهاء المالكية ،ترتيب د .قاسم سعد ، ط .دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث ،ط1، 1423هـ/2002م.

* _____ ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ،تحقيق: احمد بكير محمود ،ط.بيروت دار مكتبة الحياة ،1387هـ/1967م.

* ابن ماكولا، علي بن هبة الله أبي نصر(ت:475هـ /)

-الاكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب، ط1، بيروت دار الكتب العلمية ،1411هـ/1990م.

* المالكي ،ابن فرحون(ت:799هـ)

-الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ،تحقيق وتعليق: محمد الاحمدي ابو النور
ط2، القاهرة :مكتبة دار التراث،1426هـ/2005م .

* مجموعة مؤلفين

-التراجم والسير ،ط.دار المعارف ،1955م .

*المزي ،ابي الحجاج جمال الدين بن يوسف(ت:742هـ /) .

-تهذيب الكمال في اسماء الرجال ،تحقيق: عمرو سيد شوكت، بيروت :دار الكتب العلمية،
1425 هـ/2004م .

*ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت:597هـ /)

-غريب الحديث ،تحقيق: عبد المعطي امين قلنجي ،ط .بيروت: دار الكتب العلمية ،1425
هـ/2004م .

* ابن عماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (ت:1089هـ /)

-شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،ط .بيروت: دار احياء التراث العربي ،(د.ت).

*الحلي(ت:726هـ)

-نهاية المرام في علم الكلام، تحقيق: فاضل العرفان، اشراف: جعفر السبحاني، ط1، قم :مؤسسة
الامام الصادق،1419هـ/

*الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت:276هـ)

-غريب الحديث ، ط1 .بيروت: دار الكتب العلمية ،1408 هـ/1988م .

*قائمة المصادر الثانوية:

* الادريسي، فائزة عباس حميدي

-الوجوه الدلالية عند علماء القراءات الى نهاية القرن السادس الهجري ،".بغداد :ديوان الوقف
السني ،1433هـ/2012م.

* الزركلي،خير الدين (ت:)

- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام
والعصر الحاضر ،(د.ط)،(د.ت).